Available online at http://jgu.garmian.edu.krd

Journal of University of Garmian

https://doi.org/10.24271/garmian.1028

الظواهر الشعرية في العصر الجاهلي (المقدمة) أنموذجاً

عبدالوهاب عبدالله عبدالرحيم[1] ، فاضل محمد قادر[2]

1جامعة السليمانية /كلية اللغات/قسم اللغة العربية

2جامعة كرميان /كلية التربية الأساسية/قسم اللغة العربية

Article Info

Received: January, 2019

Revised:February,2019

Accepted:April,2019

Keywords

الطللية، القيس، الظعن،المقدمة .

Corresponding Author

abdulwahab.ch4t@yahoo.com

الخلاصه

لقد شاعت في الشعر العربي القديم جوانب مهمة ،وتلك الجوانب قد استدعاها الشاعر العربي القديم معبراً عن خلجات نفسه وما يعتريها من هموم وانفعالات نفسية لازمته وأثرت في نفسه.

ومن أجل تسليط الضوء على ظاهرة ((المقدمة)) إلى جانب القصائد الطوال والقصار والمقطعات إضافة إلى التصنيفات الأخرى التي شاعت في الشعر العربي القديم،إذ نجد إن هذه الظواهر والمصنفات الأخرى قد ولجها شعراء معروفون ، تخصص كل واحد منهم في مظهر من هذه المظاهر وقد أبدع فيها واحتوى جوانبها مثل:الملحمات والمعلقات وغيرها،بحيث أصبحت هذه الظواهر علامة مضيئةفي الشعر العربي القديم ،وقد تناولها النقاد من القدامى والمحدثين.

ونجد ان الشاعر العربي القديم قد أستهل قصائده بداية بالمقدمة الطللية وهي أقدم أشكال الأنماط الشعرية،وكانت المقدمة الغزلية مستقلة تماماً عن القصيدة الطللية بإعتبار أن القصيدة الغزلية كانت شائعة في الشعر العربي القديم.وقد أستهل الشاعر الجاهلي قصائده إما بالمقدمة الطللية وإما بالمقدمة الغزلية أو بمقدمة الشباب والشيب أو بمقدمة وصف الطيف وقصائد الحب ومقدماته،إضافة إلى وجود أشكال أخرى من تلك المقدمات مثل:مقدمة الظعن ومقدمة الفروسية ومقدمة وصف الليل والمقدمة الخمرية ،وقد أشار كثير من النقاد القدامى والمحدثين إلى هذا الموضوع،وكانت لكل مقدمة صورتها وأتجاهها ،وقد درسنا في ثنايا البحث الشعراء الذين تناولوا هذه المقدمات وذكرنا بعض نماذجهم الشعرية.وكانت اللمسات الفنية الخاصة بالمقدمات الشعرية.

المقدمة

هناك جوانب مهمة شاعت في الشعر العربي القديم،وكانت تعبّر عن خلجات النفس الشاعرة، ومنفساً لمعاناته وهمومه المكتنزة في دواخله،وشكلت ظاهرة مهمة في الشعر العربي القديم ألاَّ وهي (المقدمة) التي تعددت عناوينها وأشكالها وشكلت منحىً مهماً في الدراسات الشعرية العربية القديمة والتي لم يسلم شاعر منها إلاَّ وخاض غمارها وتجربتها . وقد أرتأينا تقسيم البحث إلى عدد من المطالب وذلك حسب مقتضيات البحث وسعته.

المطلب الأول: المقدمة الطللية

تُعد المقدمة الطللية إحدى الظواهر الشعرية التي شاعت في العصر الجاهلي، إلى جانب القصائد الطوال والقصار والمقطعات وبقية التصنيفات الشعرية الأخرى التي ظهرت في العصر الجاهلي، وتبناها شعراء معروفون كل منهم قد تخصص في مظهر من مظاهرها كالملحمات والمعلقات وغيرها ،وبهذا يمكن أن نعدَ المقدمات الطللية امتداداً فنياً لبداية نشأة الشعر العربي الجاهلي.وان المطلع . القصيدة ـ هو ما يفتتح به الشاعر قصيدته

فهو أول ما يسمعه المتلقي ،وإلى هذا(ابن رشيق القيرواني) فيقول" المطلع بمثابة مفتاح القصيدة،فأنه أول ما يقرع السمع ،وبه يستدل على ماعنده من أول وهلة ،وبه يعرف غرض القصيدة بعد سماع البيت الأول منها."(1)

ونجد في كتب (المقدمات) فصول كثيرة طويلة وقصيرة أداروا الحديث فيها عن"افتتاحيات القصائد ويغلب على مادتها انها مكرورة ، وهم لايعنون بالمقدمات قدرعنايتهم بمطالع القصائد أي الأبيات الأخرى منها ."(1)

وهناك مقدمات غزلية كاملة مستقلة عن المقدمة الطللية ،مما قد يدل من ناحية على أن المقدمة الطللية هي أقدم "أشكال المقدمات التي أرساها الشعراء،وأعنوا بها وأستكثروا منها ،وان الغزل كان في أصله جزءاً منها،ومما يدل من ناحية أخرى على ان (المقدمة الغزلية) لم تنشأ مع (المقدمة الطللية)، بل تأخرت قليلاً عنها،ثم أخذت صورتها تتماثل ،وخصائصها تتكامل على أيدي الشعراء الذين جاؤا بعد أمرؤ القيس وطبقته ،وخاصة طرفة بن العبد ."(2)

أما أشكال استهلال القصائد ،حيث نرى ان الشعراء الجاهليين استهلوا قصائدهم إما (بالمقدمة الطللية،واما بالمقدمة الغزلية،وإما بمقدمة الشباب والشيب،وإما بمقدمة وصف الطيف) وهي أشكال لا تشمل كل الفواتح التي صدروا بها مطولاتهم،بل تعرض لبعض الأشكال وبواكيرها،وأول من عنى بها أو اخترعها،فأننا نظفر "بثلاثة أشكال أُخرى بجانبها هي:مقدمة الظعن ،ومقدمة الفروسية،ومقدمة وصف الليل"(3)

وما أشار إليها الدارسون المحدثون الذين تحدثوا عن المقدمات الجاهلية ،إلاَّ الدكتور (يوسف خليف)فإنه كشف عن مقدمة الفروسية والمقدمة الطللية والمقدمة الغزلية ومقدمة الشباب والشيب ومقدمة وصف الطيف والمقدمة الخمرية.(4)

ويرى الدكتور (النويهي) ،وتابعه الدكتور (حسين عطوان)،أن هذه الأشكال المتعددة يصح أن نقسمها إلى قسمين كبيرين اعتمدا في قسمتهما لها بينهما على كثرتها وقلتها في صدور القصائد،أما "القسم الأول: فيتمثل في الإتجاهات العامة من المقدمات وهو يشمل المقدمة الغزلية ،ومقدمة وصف الظعن،إذ أستكثر الشعراء الجاهليون من إفتتاح قصائدهم بها كثرة تميزها عن غيرها ،أما القسم الثاني :من المقدمات فيتمثل إتجاهاتها الفرعية التي لم يحرصوا على أستهلال مطولاتهم كثيراً بها."(5)

ولم تتعدد أشكال المقدمات وأنواعها عند الشعراء الجاهليين فحسب ،بل أختلفت أيضاً مضامينها الموضوعية وتقاليدها الفنية ،فلكل مقدمة صورتها عند الشاعر الواحد،ومن شاعر إلى آخر.

وقد توسع المقدمات (أتجاهان):إتجاه أساسي، وإتجاه ثانوي،أما الإتجاه الأساسي فيتمثل في المقدمة الطللية والمقدمة الغزلية ومقدمة وصف الظعن،أما الإتجاه الثانوي فيتمثل في بكاء الشباب ومقدمة الفروسية ومقدمة الطيف ووصف الليل وشكاية الأقارب والرفاق ،وبذلك :"يكون من الخطأ التشبث بما يردده القدماء وتمسكوا به ،من ان القصائد في الجاهلية لم تستهل إلاّ بالنسيب والتشبب ."(6)

ولما كان للمقدمة الطللية ثلاثة أشكال،فلابد من الإشارة إلى ما يتناوله الشاعر في كل شكل من هذه الأشكال ،ففي المقدمة الغزلية نجد ان الشاعر يركز على موضوعين أساسيين هما: (فراق المحبوبة و وداعها) وما تركه ذلك من ألم وشكوى، ووداعها الذي خلق الهم والجزع في نفس الشاعر. وفي مقدمة (وصف الظعن) عنى الشعراء كيفية الإستعداد للرحيل ووصف الهوادج والنساء .وفي مقدمة (الشيب والشباب) فبكى الشعراء على شبابهم ويصفون أحوالهم ،ويتحسرون على عمرهم ،وفي مقدمة (الفروسية)نجد الشاعر يرسم لنا موقفين مختلفين،موقف الزوج البطل المزوّرعن نعيم الدنيا والحياة والمندفع إلى اقتحام الموت وتحديه.

وفي مقدمة الطيف وصف الشعراء أطياف صواحبهم وكيف كنّ يقطعن المسافات الطويلة للوصل إلى الحبيب ،كما ان الشاعر قد أولع في ذلك . اما في (مقدمة وصف الليل) و وحشته وظلمته وما كان يقاسيه لاسيما خلال ليله الذي كان يجلس وحيداً فريداً لا أحد من حوله.

---

(1) عطوان، د.حسين :مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي،ص96.

(2) النويهي، د.محمد:الشعر الجاهلي(منهج في دراسته وتقويمه) ،ص159.150.

(3) خليف، د.يوسف:مقدمة القصيدة الجاهلية ،محاولة جديدة لتفسيرها،مجلة المجلة ،العدد (98)،السنة التاسعة،فبراير،(1965م)،ص66.

(4) النويهي، د.محمد :الشعر الجاهلي(منهج في دراسته وتقويمه) ،ص90.

(5) النويهي، د.محمد :الشعر الجاهلي،92،وينظر، عطوان د.حسين :مقدمة القصيدة العربية،ص117.

(6) اسماعيل، د.عناد غزوان:مقدمة القصيدة الغزليةفي الشعر الجاهلي، ،ص44.

وقد تعرضت المقدمات إلى دراسات عديدة من قبل الباحثين المحدثين من أمثال (الدكتور يوسف خليف، الدكتور عزالدين اسماعيل، الدكتور محمد النويهي،الدكتور حسين عطوان

،الـدكتور نـوري حمـودي القيسـي، الـدكتور محمـود الجادر،الدكتور بهجة الحديثي،الدكتور عناد غزوان)،إضـافة إلى دراسات قام بها المستشرقون الأجانب أمثال المستشرق الألماني (فـالتر براونـه) و(جسـتاف جرينـاوم)،و(بروكلمـان) وغيـرهم ، إضافة إلى آراء النقاد العرب القدامى أمثال(ابو هلال العسكري، ابن طباطبا العلوي،ابن رشيق القيرواني، الأصمعي) وغيرهم.

ولابد ان نشير إلى آراء النقاد القدامى النقدية بشأن المطالع أو الإبتداء للمقدمة الطللية ،ونذكر بعضاً منها:

فقد تحدثوا عن أحسن (الإبتداءآت الجاهلية، ومنها قول أمرؤ القيس :"

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل	بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهو من أجود الإبتداءآت في رأي (ابي هلال العسكري)(1) ،وأفضل"ابتداء صنعه الشاعر لأنه وقف وأستوقف وبكى وأستبكى وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد وهذا رأي ابن رشيق القيرواني."(2)

وقول النابغة :

كليني لهم يا أميمة ناصب	وليل أقاسيه بطيء الكواكب

وهو أحسن إبتداءآت الجاهلية كما يقول أبو هلال العسكري(3).

وكان الأصمعي يقول: "لم يبتدىء أحد من الشعراء مرثية أحسن من ابتداء مرثية أوس بن حجر":

أيتها النفس أجملي جزعاً	إن الذي تحذرين قد وقعا (4)

ويزعم أبو هلال العسكري :أنها أحسن مرثية جاهلية ابتداءً(5) ، ويقول عمرو بن العلاء: "ليس للعرب مطلع قصيدة في المرثية أحسن من قول أوس. "(6)

ويتراءى لنا على طول العصر الجاهلي مقدمات متنوعة كما ذكرناها سابقاً ،والتي عنى فيها الشعراء بالتعبير عن مشاعرهم الحزينة ،وعلينا أن نفصل القول في المقدمة الطللية وأنواعها منذ بدء نشوئها وحتى تطورها :

مقدمة يذكر فيها اسم الأطلال مفرداً مجرداً كما في مقدمة (المهلهل بن ربيعة) التي أستهلها بذكر الأطلال التي" لم يطل الوقوف عندها، ولا ذكر رحلة اهلها عنها بالتفصيل ،بل قفز سريعاً إلى وصف دموعه وآلامه التي تجثم على صدره حزناً على أخيه كليب على حد تعبير (حسن السندوبي)"(7)، ومطلع هذه القصيدة:

هل عرفتَ الغداةَ من أطلال	رهنُ ريح ودمعة مهطالِ(8)

ونجد الشاعر يزجر نفسه عن بكاء الأطلال ،وكأنه أستشعر أن الوقت ليس وقت هزل و غزل ،بل وقت جد و عمل كي يدرك ثأر أخيه:

أزجر النفس أن تبكي الطلولا	أن في الصدر من كليب غليلا
كيف يبكي الطلول من هو رهنً	بطعانِ الأنام جيلا فجيلاً؟ (9)

(1) العسكري، أبو هلال:الصناعتين،433،والبيت في ديوان الشاعر،ص15.

(2) العمدة، ج1،ص218.

(3) الصناعتين،ص433.

(4)العمدة، ج1،ص220،والبيت في ديوان الشاعر،ط2،ص38.

(5) القالي، أبو علي:ذيل الأمالي والنوادر ،ص34.

(6) الصناعتين ،ص433.

(7) السندوبي، حسن:اخبار المراقة واشعارهم في الجاهلية والإسلام،ص45.والعمدة، ج1،ص220.

(8) نفسه،ص61،وديوان المهلهل،ص121.

(9) الأغاني، ج5،ص56.

ومن المحقق ان شعره ضاع وإلاَّ فما معنى قول القدماء أنه كان (زير نساء) وليس في شعره ما يشهد بذلك، ومن المحقق أيضاً نرى أن شعره الذي يمثل الشطر الأول من حياته حين كان يلهو ويتغزل اندثرَ، ولكن لو لا أشعاره التي وصلت إلينا التي تتعلق بذكر الأيام والوقائع التي دارت رحاها بين (بكر وتغلب) لما حفظها لنا القدماء ،ومن الطبيعي أن ينصرف الغزل و وصف الأطلال في أشعاره التي تمثل " الشطر الثاني من حياته، الذي أفناه في ترجيع أشجانه وأحزانه ،ووصف ليله وأرقه ،وتذكرة لأخيه،وندبه له وتوعده بكراً بالهلاك والفناء، وهذه الموضوعات ليست مما يقدم له بالنسيب والتشبب ."(1)

وقد يرفض (د.حسين عطوان) قول عبدالقادر البغدادي ،من "أن يكون المهلهل أول من عنى بالنسيب في شعره."(2) ،لا لشيء إلاَّ لأن شعره اندرس،ولأن ما وصل إلينا منه لا يمثل مايزعمه البغدادي أي تمثيل. .

ونعرّج إلى الشاعر أمرؤ القيس إذ يرفض الدكتور (حسين عطوان) ما يقوله القدماء عن أمريء القيس من انه أول من وقف وأستوقف ،بكى وأستبكى ،أو كما يقول ابن سلام :" ان من قدموه على سائر الشعراء أحتجوا له واتبعه فيها الشعراء،منها:استيقاف صحبه ،والبكاء في الديار،ورقة

النسيب،وقرب المأخذ، وشبه النساء بالظباء، والبيض ،وشبه الخيل بالعصيان والعصي،وقيد الأوابد،وأجاد في التشبيه ،وفصل بين النسيب وبين المعنى."(3)

ونلاحظ من جانبنا كيف يستقيم القول مع ما يذكره أمرؤ القيس نفسه من أنه يبكي في الديار كما بكى سابقه (ابن خذام)، وانه كان مقلداً ومتبعاً ،لا مخترعاً ومبتدعاً ،ومع ذلك فنحن مطمئنون "إلى انه كان من شعراء الطليعة المبدعة كما يقول الدكتور يوسف خليف."(4)

ومن هنا لا مفرّ من أن نتخذ ديوانه المصدر الأول الذي نرى فيه صورة (المقدمة الطللية) في تلك الفترة المبكرة من التاريخ الأدبي المعروف وقد تمثلت في قصائده خيوط هذه المقدمة ،التي نجده قد نسجها بألوانها وخطوطها وظلالها المشرقة الزاهية،وأستطاع أن يجسم ويشخص مقوماتها على خير ما يكون التجسيم والتشخيص ،وأشهرها وأبدعها مقدمته لمعلقته التي يلم فيها بديار المحبوبة،فتطبق عليه أيامها الماضية ولياليها الخالية،التي تمثل ذكرياته الحلوة معها ،ويشتد الشوق والحزن،حتى يكاد يعصف به ،فيطلب إلى صاحبه أو صاحبيه أن يقفا كما وقف وأن يبكيا كما بكا،لعل هذا البكاء المشحون بالحزن والألم وهم الفراق، يسعده ويخفف أحزانه وأشجانه إيزاء هذه الديار التي لم تندثر آثارها لأنها ظلت ماثلة شاخصة للعيان ، تقاوم عوادي الزمن وأيدي البلى .. وأنها خلت من أهلها ، واتخذتها الظباء مرتعاً لها ويرتد بصره إلى الوراء ، فتترائى له ساعة رحيل محبوبته مع أهلها،وهو واقف يرقبهم من بعيد بجانب شجيرات الحي ،ونجده لا يملك نفسه ،وتفيض دموعه على خديه كأنه ينقف الحنظل، وبينما هو غارق في نشوة الذكريات الحزينة وأحلامها ،يلتف صاحباه حوله يسديان له النصح خوفاً عليه من أن يهلك من فرط الحزن وشدة الجزع .ونلاحظ ان الشاعر يتساءل وسؤاله مشروع،ما جدوى هذه الدموع؟،ولا سيما أنه لقي من هذه المحبوبة ما لقيه من صاحبتيه (أم الحويرث) وجارتها (أم الرباب) حين أرتحلتا،وفاضت دموعه من فرط وجده بهما،وشدة حنينه إليهما حتى بلّ دمعه محمل سيفه، فيقول:

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل	بسقط اللوى بين الدخول فحومل
.....	.....
ففاضت دموع العين مني صبابة	على النحر حتى بلّ دمعي محملي[5]

ونجد الشاعر في مقدمة القصيدة الثانية من ديوانه لا تقل روعة عن مقدمة (المعلقة)،فقد افتتحها باستنزال الرحمة والسلام على أطلال محبوبته (سلمى)، التي رحل أهلها عنها وخلفوا له الألم والهم يعيش عليهما ،والشاعر يمرّ بهذه الديار التي عبثت

---

(1) النويهي، د.محمد:مقدمة الأطلال في القصيدة الجاهلية. دراسة موضوعية فنية،مجلة المجلة،العدد(100)،1965م،ص26.

(2) البغدادي، عبدالقادر: خزانة الأدب، ج2، ص143.وينظر أيضاً عطوان، د. حسين:مقدمة القصيدة العربية،ص82.

(3) ابن سلام :طبقات فحول الشعراء، ج1، ص46.وينظر الشعر والشعراء، ج1، ص73.

(4) خليف، د. يوسف:مقدمة الأطلال في القصيدة العربية . دراسة موضوعية وفنية . ،مجلة المجلة العدد (100)، ص36.

(5) الزوزني:شرح القصائد السبع،ص85.وديوان الشاعر، ص15.

الأمطار،وغيرت معالمها ،فيغرق في سيل من الذكريات الماضية مع (سلمى) الفاتنة ،ولكنه يفيق فجأة على الحقيقة المرّة ،حقيقة خلو الديار من أهلها وازدحامها بأولاد الظباء وبيض النعام بمسايل المياه ،ويمضي في حديثه ذي الشجون عن تعبير بأنه أصبح كبيراً ،وأنه لا يحسن اللهو ، فيرد عليها بأنه لايزال بقية من شباب تصبى النساء، ثم يصور لهوه بآنسي كأنها تمثال و وجهوها مشرق صبوح كأنه مصباح ،وصدره تزينه الحلي الذهبية التي تشبه الجمر المنقد تهب عليه الرياح فيقول:

ألا عِم صباحاً أيها الطلل البالي	وهل يَعمن من كان في العصر الخالي
.....	.....
ليلى سلمى إذا تريك منصّباً	وجيداً كجيد الرئم لعيس بمعطال(1)

أما مقدمة القصيدة الخامسة عشرة، وهي القصيدة التي يذكر فيها انه يبكي في الديار،كما بكى سابقه (ابن خذام) فقد ألمّ بدار بل بديار متناثرات لمحبوبات كثيرات ،فلم يعرفها الشاعر لقدمها وتغير معالمها وخلوها من أهلها ،فهي تطفح ببقر الوحش والظباء،ونجد الشاعر يستعيد منظر الرحيل فإذا الظعائن بهوادجهن يتراءين له كأنهن نخلٌ مختلف ألوانه، فيها حبات قليلة من آنسات ناعمات مترفات مضخمات بالعطر، فيشتد حزنه وأسفه حتى يمسي كالنشوان يصطبح خمراً معتقة فيقول:

لمن الديار غشيتها بسحام	فعمايَتين فهضب ذي أقدام
.....	.....
فَظَلِلْتُ في دمن الديار كأنني	نشوانَ باكرة صبوح مدام(2)

وهذا "هو معنى ما نقوله وقلناه من أن أمرأ القيس كان من أوائل الشعراء الذين أرسوا تقاليد المقدمة الطللية،فقد ألمّ في المقدمات السابقة بكثير من التقاليد التي رددها الشعراء من بعده،كما ألم بأجزاء هذه المقدمة على اختلافها ،إذ وقف واستوقف،وبكى واستبكى،وحدد مواضع المنازل وحياها ودعى بالسلامة والاستقاء لها ،فأحصى ما بقى من آثارها وعرض لماغايرها."(3)

هذا ما يتصل بالرسوم والأصول ،أما ما يتصل بالشكل وأجزائه،فنراه لا يكتفي بوصف الأطلال ،بل يستعيد مع وصفها ذكرياته الحلوة التي كانت له مع صاحباته على أرضها،كما يصف مفاتن خليلاته وصفاً حسياً يلتفت فيه إلى مواطن الجمال الحسي فيهنّ، وقد يعدل عن وصف محبوباته ،ويصف مع الأطلال ارتحالهن وهوادجهن المفارقة لها. وليس معنى "ذلك ان أمرأ القيس هو الذي اصّلَ تقاليد هذه المقدمة ،وأرسى أجزاءها وحددها ،وإنما معناه أنه كان من السباقين إلى ذلك، إذ يشركه الشعراء المتقدمون ممن يعاصرونه أو تأخروا قليلاً عنه."(4)

ونقلت إلينا أشعارهم وخير من يمثلهم (عبيد بن الأبرص)الذي يصفه ابن سلام بأنه:"من أقدم الفحول."(5) ،وأنه "قديم الذكر عظيم الشهرة "(6) و(طرفة بن العبد) الذي يعدُ أيضاً من أوائل الشعراء ومتقدميهم .

فهذا (عبيد بن الأبرص) يستهل قصيدته اللامية بزجر نفسه عن البكاء في ديار صاحبته التي تغيرت معالمها ودرست آثارها والشاعر يصور آلامه ودموعه حين وقف عندها ورآها مقفرة متغيرة ،إذ يمضي نهاره فيها كسير النفس ،كاسف الليالي ذاهب العقل ،فيقول:

أمِنْ رُسمٍ نؤيها ناحل	ومن ديار دمعك الهامل
قد جرت الريح بها ذيلها	عاماً وجون مسبل هاطل
حتى عفاها صيتُ رعده	دانى النواحي مُسبل وابل(7)

(1) ديوان أمرؤ القيس،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم،ص41.

(2) نفسه،ص82،84.

(3) عطوان، د.حسين:مقدمة القصيدة العربية،ص86،87.

(4) نفسه، ص87،88.

(5) ابن سلام :طبقات فحول الشعراء،ج1،ص23.

(6) نفسه،ص116.

(7) الأبرص، ديوان عبيد،ص97.

ونجده يخلص من ذكرياته إلى وصف الظعن وهي تسير في شعاب الصحراء وسهولها ... ويُألمه ذلك لأنه آذت ببعد محبوبته منه وأنفصالها عنه :

ألا تقفان اليوم قبل تفرُّق	ونأي بعيرواختلاف وأشغال
إلى ظعن يسلكن بين تبالةٍ	وبين أعالي الخلّي لاحقة التالي
فلما رأيت الحاديين تكمّشا	نَدِمْتُ على أن يذهبا ناعمي بال(1)

ويركب هو وأصحابه نوقهم ،حتى إذا ما لحقوا (بالظعن) وأقتربوا منها مُدّتْ النساء رؤوسهن ورحن جميعاً يتبادلن معه الحديث:

رفعنا عليهن السياط فقلصت	بنا كل فتلاء الذراعين مرقال
فألحقنا بالقوم كلُّ دفقةٍ	مصدرة بالرحل وجناء شملال
فَأبنا ونازعنا الحديث آوانساً	علىهن جيشانية ذات أغيال(2)

ومما تقدم يظهرلنا جلياً مشاركة (عبيد)كما شارك أمرؤ القيس في تأصيل تقاليد المقدمة الطللية وفي إرساء أجزائها فهو لم يقنع بوصف الأطلال بل راح يصف إرتحال أهلها عنها . ومن تقاليد المقدمة الطللية وأشكالها وصف منازل المحبوبة ،وهذا (طرفة بن العبد) يصف منازل محبوبته(سلمى) تلك التي أقفرت ،فإذا مناظرها وآثرها مبعثرة في ساحاتها يشبه غمد سيف مزخرف ،ويطوف به الذكريات مع صاحبته، يوم أن كانت قريبة منه، تعيش معه ،تمطله مرةً و تصلة مرةً فيقول:

أتعرف رسم الدار قفراً منازله	كجفن اليماني زخرف الوشي ماثله
ديار لسلمى إذ تعيدك بالمنى	وإذ حبلُ سلمى منك وإن تواصله(3)

ونجده في معلقته الذائعة الصيت ،وقد جمع فيها بين (وصف الأطلال) و(وصف صاحبته) و(وصف أرتحالها) فيقول:

لخولة أطلال ببرقة تهمد	تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
.....	.....
ووجه كأن الشمس حلّت رداءها	عليه نقّيَ اللون لم يتخدد(4)

وواضح مما قدمناه أن أمرأ القيس وعبيد بن الأبرص وطرفة، أولئك الذين عاشوا في الصدر الأول من العصر الجاهلي ،والذين وصلت إلينا أشعارهم ودواوينهم هم الذين نستطيع أن نطمئن إلى أنهم وضعوا أصول المقدمة الطللية وتقاليدها وأقسامها،أما(أبن خذام والمهلهل) " فلا ننكر أنهما كانا ممن وصفا الاطلال بشهادة القدماء،وبشهادة مابقي من أشعارهما."(5)

ومما قدمناه من مقدمات طللية نلاحظ أنهم تحدثوا عن المنازل والمحبوبات الراحلات، كما عند أمريء القيس.أما ما يتصل بالمنازل الدارسة لم يتخذ شكلاً واحداً، ولا أستقرعلى صورة بعينها ،بل تنوعت صوره وتباينت أشكاله فحيناً وصفوا الاطلال

بمفردها، وحيناً ثانياً وصفوها مع محبوباتهم اللائي كانت لهم مودات معهن ،واللائي وقفوا عند مفاتنهن الجسدية ومحاسنهن المادية وعطورهن الفواحة.

---

(1) الأبرص، ديوان عبيد ،ص112و113.

(2)نفسه والصفحة.

(3) السقا، د.مصطفى:مختار الشعر الجاهلي،ص354،وديوان الشاعر،ص54.

(4) الزوزني:شرح القصائد السبع،ص41.38،وديوان الشاعر،ص12.

(5) النويهي، د.محمد:الشعر الجاهلي، ص185.

المطلب الثاني:

المقدمة الغزلية:

يذهب أبو الفرج الأصبهاني إلى:" أن المهلهل بن ربيعة هو أول من قصّد القصائد وأطالها وقال الغزل في أوائلها ."(1) ويتابعه (عبدالقادر البغدادي) إذ "يرى أنه نظم في الغزل وعنى بالنسيب في شعره ."(2) على أن ما وصل إلينا من غزله أبيات معدودة رواها أبو الفرج الأصبهاني ،وذكر مناسبتها ،فقال سقى (عمرو بن مالك بن ضبيعة) المهلهل خمراً ،فلما طابت نفسه قال:

طفلة ما أبنةُ المحلّل بيضاء	لعوب لذيذة في العـــناق
فأذهبي ما اليك غير بعيد	لا يُؤاتِ العناق مَنْ في الوثاق
ضربتْ نحرها إليَّ وقالتْ	يا عدِيّاً لقد وقْتكَ الأواقـي(3)

وواضحٌ من هذه الأبيات أنه يصف أبنة المحلل وبياضها وعذوبة ريقها ،ثم يزجرها . كما زجرَ نفسه عن بكاء الأطلال . ويطلب إليها أن تتأنى عنه ،لأنه واقع في ذل الأسر،فتضرب صدرها وتدعو له بفدية.

ونجد أن "النسيب ليس إلا إنعكاساً صادقاً لطبيعة ذلك المجتمع الذي كان النمط الرعوي من الحياة هو النمط الغالب عليه في تنقله الدائم من مكان لآخر."(4)

وهذا الشاعر(أمرؤ القيس) الذي نجد يقول فيه ابن سلام :"أن من رفعوه فوق سائر الشعراء أحتجوا له بأن قالوا: ماقال مالم يقولوا ،ولكنه سبق إلى أشياء أبتدعها استحسنها العرب،وأتبعه فيها الشعراء،منها: "إستقاف صحبه ،والبكاء في الديار ،ورقة النسيب، وقرب المأخذ ،وشبّه النساء بالظباء والبيض... وفصل بين النسيب وبين المعنى ."(5)

نلاحظ ان ذلك لا ينفي أبداً أنه كان من أوائل الشعراء الذين تفرغوا للغزل ،ونلاحظ أن "حياته الأرستقراطية التي حققها له ملك آبائه، أتاحت له الفرصة، وفسحت أمامه المجال كي يلهو ويلعب ،وماذا في أشعاره التي تمثل الشطر الأول من حياته غير ملاحقة النساء والعبث والتعايش بهن؟"(6)

ومن يرجع إلى قصائده الموثقة ،ولا سيما القصيدتين الأولى والثانية من ديوانه،يجد فيهما خير دليل على مانقوله ،ومع أن القصيدتين تتشابهان بل تطفحان بمغامراته و وصف محبوباته إلاّ انه عنى في الأولى ــ وهي المعلقة ــ بوصف محبوبته (بيضة الخدر)، بينما عنى في (الثانية) بعرض صور من مغامراته الجزئية،نلاحظه في(المعلقة) يصف وصفاً دقيقاً مفصلاً صاحبته (بيضة الخدر) بحيث لم يترك شيئاً من مفاتن جسمها إلاّ وصفها،ولا عضواً من أعضائها إلاّ أتى عليه وذكره ... فهي لطيفة الخصر،ضامرة البطن ،وصدرها براق متوهج متلالىء كأنها المرأة الصقيلة ويستمر الشاعر في وصفه لجسد المحبوبة،فيقول:

مهفهفة بيضاء غيرُ مفاضة	ترائبها مصقولة كالسجنجل
.....	.....
وجيد كجيد الرِّئم ليس بفاحش	إذا هي نصته ولا بمعطل(7)

ومن المقدمات الغزلية ،مقدمة (طرفة بن العبد) وهي من أروع ما يصور ذلك عنده تلك الأبيات التي قدم بها بين يدي قصيدته الرائية التي يمتدح قومه ويعتذر إليهم ، فيقول:

---

(1) الأصبهاني:الأغاني، ج5، ص57.

(2) البغدادي، عبدالقادر:خزانة الأدب، ص143.

(3) الأغاني، ج5، ص52،51.

(4) النويهي، د.محمد:الشعر الجاهلي ، ص149.

(5) ابن سلام :الطبقات، ج1، ص46.

(6) النويهي، د.محمد:الشعر الجاهلي ، ص151.

(7) الزوزني:شرح القصائد السبع، ص17ـــ19.وديوان الشاعر، ص22.

أصحوت اليوم أم شاقتك هِرُّ	ومن الحب جنون مستعر
.....	.....
تحسب الطرف عليها نجدة	يالقومي للشباب المسبكر(1)

نجد الشاعر في أول الأبيات عاشق قد أسكره العشق، وأسبدّ به الشوق حتى بلغ به حد الجنون والهذيان، كما يستعطف قلب صاحبته (هِرُّ) لعلها ترق له وتعطف عليه ،إذ ليس من طبع المحبوبة الكريمة أن تقسو على من تعلق بها وشقى بحبها ،ثم يسترسل الشاعر بوصف المحبوبة أنها فتاة تامة الخلق،فاتنة العينين،أسيل الخدين ،...

ونورد مثالاً أُخرى عن المقدمة الغزلية للشاعر (زهير بن أبي سلمى) أنه كان في مجال النسيب الافتتاحي للمقدمة ،ونلحظ إشارته في بيته الأول من هذه الأبيات التي سنذكرها ، إلى كثرة دموعه على فراق الأحبة،حتى ليشبه دموعه بالمياه المتدفقة في عملية الري هذه ،فيقول:

كأنّ عينيَّ في غرْبَيْ مُقَتــلَةٍ	من النواضح تسقي جنّةٌ سُــحُقا
تمطو الرشاءَ وتجري في ثنايتها	من المحالة ثَقْباً رائـــــداً قلِقا
.....	.....
ليخرجن من شربات ماؤها طَحِلٌ	على الجذوع يخفنَ الـغمَّ والغرقـا(2)

وجدنا الشاعر يمزج ما يقول دائماً بعاطفته القوية ويروي الأشياء دائماً من خلال هذه العاطفة،إذ نقل الشاعر إنفعاله إلينا وأثرتنا في الوقت نفسه ،إذ الإنفعال الموجود في ثناياه تعادنا للحركات الموصوفة لحركة الناقة ،مزجها بعاطفة فراق الحبيبة، وذرف الدموع لهذا الفراق. ومن المقدمات الغزلية ،مقدمة (علقمة بن عبدة التميمي) الذي عاصر أمرؤ القيس في النصف الأول من القرن السادس الميلادي وكانت له مشاخصة شخصية ومنافسة شعرية سجلتها كتب الأدب العربي القديم ،ولعلقمة في كتاب (المفضليات) قصيدتان أُعجب بهما القدماء أعجاباً كبيراً ،وقالوا عنهما : (هاتان سمطا الدهر) ، وقد اخذنا للدراسة أولها نظماً ، وهي أكبرهما أمتاعاً فنياً ،تلك القصيدة (المئة والعشرون) في المفضليات ،وهي تستهل كالمعتاد بالنسيب ،إذ يقول :

هـل ماعلمـتَ ومـا أسـتُودعيتَ مكـتومُ	أم حبلهـا إذ نأتْـكَ اليـوم مصرومُ
.....	.....
صِـفْرُ الوِشـاحينِ مِـل ءُ الـدِّرعِ خرعبةُ	كأنهـا رَشـأٌ فـي البيـت ملـزومُ(3)

هذه أبيات مشحونة بالألم والحزن الحاد على فراق المحبوبة إذ نجد سيل الدموع تنهمرمن عينيه على فراق الأحبة ،يسيل الماء من غرب تجرّها الساقية في عملية الري ،ولكن الدموع آخذة بالسيل لكثرة بكائه على (سلمى) من خلال تذكره لها .

وحان أن نعطي مثال آخراً على النسيب الإفتتاحي الذي يقنعنا بصدقه التام ،ويحمل لنا مرارته عبر القرون ،والشاعر في الأبيات التي سنذكرها،يتحدث عن تجربة واقعة حدثت له، مع فتاة معينة أحبها حباً صادقاً ، وحزن لفراقها حزناً مخلصاً، وانه يستحضر هذه التجربة بتفاصيلها الحيّة ،وهذه المحبوبة بشخصيتها الحقيقية ،سعت نظمه لأبياته ،ولا يكتفي بمجرد إتباع التقليد المأثور وأجترار المعاني المعادة المكرورة ،هذا مع أن الشاعر قد عاش في (النصف الثاني من القرن السادس الميلادي) وأنتمى إلى الجيل السابق للإسلام، أي أنه عاش في أواخر العصر الجاهلي وسبقته أجيال كثيرة من الشعراء الذين نظموا في الموضوع نفسه،وأرسوا تقاليده المظمونية والأسلوبية ،وبرغم ذلك أستطاع أن يكون أصيلاً ،وقد أقنعنا الشاعر بأصالته ، بما أستطاع أن يسمعنا من نبرة فردية جديدة صاغ فيها المعاني المألوفة التي تتمثل شخصياً ويعانيها معاناة شخصية في أنسجة عقله و خلايـــا

---

(1) السقا، د.مصطفى:مختارات الشعر الجاهلي، ص323،وديوان الشاعر،ص82.

(2) نقلاً عن كتاب الدكتور محمد النويهي:الشعر الجاهلي ،ج1،ص122.125،وديوان الشاعر،ص82.

(3) النويهي، د.محمد:الشعر الجاهلي ،ج1،ص297.303،وديوان الشاعر،ص82.

أعصابه و صميم وجدانه ولا يكتفي بتقليها و تكرارها مما نظمه الشعراء قبله،ذلك هو الشاعر الملقب بـ (الحادرة) واسمه (قطبه بن محصن)(1) ، وهو يحتل الأبيات الثمانية الأولى من قصيدته، وهي القصيدة الثامنة من كتاب المفضليات وفيها يقول:

بَكَرَتْ سُمَيَّةُ بُكْـرَةً فَتَمَتَّعِ	وغَدَتْ غُدُوَّ مُفَارِقٍ لم يَرْبَـعِ
وتَزَوَّدَتْ عَيْني غَدَاةَ لَقِيتُهَا	بِلِوَى البُنَيْنَةِ نَظْرَةً لم تُشْلِـعِ
وتصدَّفَتْ حتَّى اسْتَبَتْكَ بواضِحٍ	صَـلْتٍ كمُنْتَصِـبِ الغَـزَالِ الأَتْلَعِ
وبِمُقْلَتَيْ حَوْرَاءَ تَحْسِبُ طَرْفَها	وَسْنَانَ، حُرَّةِ مُسْتَهَلِّ الأَدْمُـعُ
وإذا تُنَازِعُكَ الحدِيثَ رأَيتَـها	حسناً تَبَسُّمُها، لذيذَ المَكْـرَعِ
بِغَرِيضِ سارِيةٍ أَدَرَّتْهُ الصَّبَـا	مِـن مـاءِ أَسْـجَرَ طَيِّـبِ المُسْتَنْقَعِ
ظَلَمَ البِطاحَ لهُ انهلالُ حَرِيصةٍ	فَصَـفا النِّطافُ لـهُ بُعَيْـدَ المُقْلَعِ
لَعِبَ السُّيُولُ به فأَصبَحَ مـاؤُهُ	غَلَـلاً تَقَطَّـعَ فـي أصـولِ الخرْوَعِ(2)

نرى الشاعر (الحادرة) لا يقوى على كتمان لوعته ولهفته لفراق صاحبته (سمية) ،حين رآها عازمة على الرحيل ،مقبلة عليه في تصميم، مفتونة بأحلام الرحلة المقبلة،والموطن الجديد ،ناسية ذكرياتها معه وكأنها لم تقابله ولا تعرفه ولا قضت أوقاتاً سعيدة معه، بينما وقف يلقي عليها نظرات الوداع يتأمل وجهها،ولايغض الطرف عنها،ومضى يصف فتنته بجيدها الرشيق،وعينها الحوراوين بنظراتهما الساحرة الفاترة،ووجهها المشرق،وحديثها العذب ،وبسمتها الرقيقة،وريقها الطيب العطر.

والشاعر قد أنتبه بشكل جلي إلى مفاتنها المادية،ومحاسنها الجسدية،فإذا هو مشدود إليها مسحور بها.

وكان للجمال المعنوي حصة في مقدمات الشعراء الغزلية وخير ما يصور ذلك مقدمة قصيدة (الشنفرى) التائية ،وهو يستهلها بالحديث عن صاحبته (أم عمرو) ،وكيف أنها جمعت نفسها، وعقدت عزمها على (الرحلة)وأخفت ذلك عنه ،وأرتحلت دون أن تودع جارتها،وكيف أنه لم يعلم بأمرها حتى فاجئته بإبلها المستعدة للرحيل ،فتراءت أمامه أيامه القصيرة التي قضاها معها، وأحزانه ذلك حزناً شديداً،ولا يلبث أن يتخفف من أحزانه ،فكم من نعمة ظن أنها لن تنتهي ،ذهبت وزالت،ولتكن (أميمة)واحدة من تلك النعم

الزائلة ، حيث يقول:

أَلاَ أُمُّ عَمْرٍو أَجْمَعَتْ فاسْتقَلَّتِ	وما وَدَّعَتْ جِيرانَها إِذْ تَوَلَّتْ
وقد سَبَقَتْنَا أُمُّ عَمْرٍو بأَمــرِها	وكانت بأَعْناقِ المَطِيِّ أَظَلَّتْ
بِعَيْنَيَّ ما أَمْستْ فبَاتتْ فأَصبحت	فقَضَّتْ أُمُوراً فاستقَلَّتْ فَـوَلَّتْ
فَوَاكَبِدَا على أُمَيْمَةَ بَعْدَ مــا	طَمِعْتُ، فهَيْهَا نِعْمةً العَيْشِ زَلَّتْ(3)

وينتقل الشاعر إلى وصف جمالها المعنوي،وشمائلها من الطهر والعفاف الحي من حولها،وإذا غاب عنها قليلاً أو طويلاً عاد قرير العين ،مطمئن النفس لا يسأل الحي عن أخبارها:

لَقَــدْ أَعْجَبَتْنِــي لا سَقُوطا قِنَاعُها	إذا ما مَشَتْ ولا بِذَاتِ تَلَفُّتْ
.....	.....
إِذَا هُوَ أَمْسَى آبَ قُـرَّةَ عَيْنِـهِ	مَآبَ السَّعِيدِ لم يَسَلْ: أينَ ظَلَّتِ

ويختتمها بهذا البيت الذي يرى (الثعالبي) أنه "ليس له في شعر المتقدمين نظير."(4) ونجد في مسألة المقدمات الغزلية ليست أشواقاً

---

(1) ابن قتيبة :الشعر والشعراء، ج1، ص128،وينظر الدكتور محمد النويهي:الشعر الجاهلي، ص164.

(2) المفضل الضبي:المفضلية الثامنة.

(3) المفضليات ،المفضلية العشرون.

(4) الثعالبي:خاص الخاص ،ص77.

حادة، بل مسألة رجل فاجر داعر،وأمرأة بغي متهتكة ،تعرف كيف تتسلل إلى قلوب الرجال وتثير غرائزهم،حيث نجد الشاعر (الأعشى) كان يتردد على النساء لاسيما الإماء والغياث والبغايا،ممن كان يتردد عليهن ويقضي أوطاره منهن،وخاصة في أسواق العرب التي كانت تقام بها بيوت البغايا،وفي الوقت نفسه نجده لا يتغزل بالحرائر والمصونات المحصنات من النساء والفتيات ،ولعلّ في القصيدة (السابعة والسبعين) من ديوانه مايدل على ذلك ،مع أن موضوعها تذكير بأيادي قومه على أبناء عمومته،كان الغزل المكشوف الفاضح شغل الجزء الأكبر منها،بل كاد يستغرقها كلها،فقد أفتتحها فتحاً جذلاً لأنه استطاع التخلص من ذكر صاحبته (قُتيلة) ولكن سرعان ما ارتد إليها إرتداداً عجيباً راسماً لها لوحة حسية فاضحة لا نعرف لها مثيلاً في مقدمات الشعر الجاهلي الغزلية، فقدّمها لنا طرية لينة مسترسلة البنان، حيث القامة المعتدلة، والساقان الممتلئان.. ويمضي يصور كيف انقضى إليها وقد انبطحت على الفراش حيث يقول:

صحا بالقلب من ذكرى قتيلة بعدما	يكون لها مثل الأسيرالمكبــلِ .....
إذا ما علاها فارس متـــــبذل	فنعم فراش الفارس المتبــذلِ(1)

وهذا غزل مادي ماجن كله وصف وعبث وانحراف فلا نعثر عليه عند غيره من الشعراء،بل "يتميز هو به،ويكثر منه،بل كثيرة كثرة ملحوظة بحيث تتصدر أعداداً من قصائده."(2) وهذا (علقمة بن عبدة) يصف في إحدى مقدماته الغزلية يصف النساء من خلال خبرته معهنّ، وأنه خير طبيب،وخير من يصف الدواء،فيقول:

وإن تسألوني بالنساء فإنني	بصير بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله	فليس له في ودّهن نصيب
يُردن ثراء المال حيث علمنه	وشرخ الشباب عندهن عجيب(2)

المطلب الثالث: مقدمات الحب والعاشقين

فهذا (المرقش الأكبر) وهو"ربيعة بن سعد بن مالك ،وهو أحد عشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته (أسماء بنت عوف بن مالك) وكان أبوها زوجها رجلاً من (مُراد) والمرقش غائب ،فلما رجع أُخبر بذلك ،فخرج يريدها ،ومعه عسيف له من غُفلة، فلما صار في بعض الطريق مرض،حتى ما يحمل إلاّ معروضاً،فتركه (الغفيلي)هناك في غار،وانصرف إلى أهله،فخبّرهم أنه مات،فأخذوه وضربوه حتى أقرَّ،فقتلوه. ويقال أن (أسماء)وقف على أمره،فبعثت إليه فُحمل إليها،وقد أكلت السباع أنفه،فقال:

ياراكباً أما عرضت فبلّغن	أنس أبن سعد أن لقيت وحرملا
لله درُّكما و درُّ أبيكما	إن أفلت الغُفلي حتى يُقتلا." (3)

. وهذا (المرقش الأصغر) وهو (ربيعة بن حرملة) وقال آخرون :هو (ربيعة بن سفيان)،وأحد عشاق العرب المشهورين،وصاحبته (فاطمة بنت المنذر) وكانت لها خادمة تجمع بينهما يقال لها (هند بنت عجلان) فلذلك ذكرها في شعره(4).

وكان للمرقش ابن عم يقال له (جناب بن عوف بن مالك) لا يؤثر عليه أحداً، وكان لايكتمه شيئاً من أمره،فألحّ عليه أن يخلفه ليلة عند صاحبته،فأمتنع عليه زماناً،ثم إنه أجابه إلى ذلك فعلمه كيف يصنع إذا"دخل عليها،فلما دنا منها أنكرت عليه مسّه فنّحته عنها،وقالت: لعن الله سراً عند المعبدي، وجاءت الوليدة فأخرجته،فأتى المرقش فأخبره ،فعضَّ على أبهامه فقطعها أسفاً ،وهام على وجهه حياءً(5) " فذلك قوله:

(1) الكبير، ديوان الأعشى ،القصيدة السابعة والسبعين.

(2) نفسه.

(3) ابن قتيبة:الشعر والشعراء، ج1، ص219،وينظر الأبيات في المفضليات ،ص45.

(4) الشعر والشعراء ، ج1، ص210.وفي المفضليات والأغاني (أنس بن سعد) وهو أصح ،فإن أنساً و حرملة هما ابنا سعد وهما أخو المقرش .

(5) الشعر والشعراء، ج1، ص214.

ألاَ يَا أسْلَمِي لاَ صُرْمَ في اليومَ فاطِمَا	ولا أبَداً مادَامَ وَصْلُكِ دَائِمَا
.....	.....
ومن يلق خيراً يحمد الناس أمره	ومن يغوي لايعدم على الغيّ لائما(1)

قالوا :وكان عضَّ سبابته فقطعها من حيها ،وقال:

ألَمْ تَرَ أن المرء يجذم كفَّه	ويجشم من هول الأمور المجاشا(2)

المطلب الرابع:

.وصف الظعن:

لم تكن المقدمات الطللية والمقدمة الغزلية،على ما لها من شيوع في قصائد الشعر الجاهلي ،وكانت هناك مقدمات أخرى على رأسها تصوير مناظر الرحل والارتحال،وهذا (عبيد بن الأبرص)الذي يصفه (ابن سلام) "بأنه من أقدر الفحول"(3) و "أنه قديم الذكر عظيم الشهره."(4) يصف الهوادج بألوانها المزركشة،وثيابها الفضفاضة،المختلفة الأنواع ،بين سميك رقيق،تغلب الحمرة عليها كأنها نخيل حان قطافه،وأختلفت ألوانه ،يقول:

لمن جمال قبيل الصبح مزمومة مُتيَمّماتٍ بلاداً غير معلومهْ

....

فيهن هندٌ التي هام الفؤادُ بها بيضاء آنسة بالحسنَ مَوْسُومهْ(5)

أما (سلامة بن جندل) فأشد من أن تبكيه الحمول على ماتضمه من أوانس بيض،يقول:

لو كُنتُ أبكي لِحُمول لشاقَني	لليلى ، بأعلى الواديين، حُمُولُ
يطالعنا منْ كلّ حدْجُ مخدَّرٍ	أوانسُ بِيضٌ ، مِثلُهنَّ قَليلُ
يُشبِّهها الرائي مَهاً بصريمةٍ	عَلَيهِنَّ فَينانُ الغُصونِ ظَلِيلُ(6)

وهذا (طفيل الغنوي) يصورمنظراً آخر من مظاهر الظعن والرحيل،اذ شاقته الأظعان التي جدَّ بها الحداء،فسأل صاحبه عنها وهل هو لايزال يراها؟أو أنه كان ناهياً لم يشاركه أشواقه،فيقول:

أشاقَتكَ أظعانٌ بجَفنِ يَبَنْبَنِ	نعم بُكُراً مثلَ الفَسِيلِ المُكَمَّمِ
.....	.....
وفي الظَّاعِنينَ القلبُ قد ذَهَبَتْ به	أسيلَةُ مَجرَى الدَّمعِ رَيَّا المُخَدَّمِ(7)

(1) المفضليات،المفضلية رقم(59) وينظر الشعر والشعراء، ج1، ص214.216.

(2) هو البيت (23) من المفضلية رقم (56).

(3) طبقات فحول الشعراء، ج2، ص23.

(4) نفسه ،ص116.

(5) ديوانه، ص127.

(6) جندل، ديوان سلامة ،ص79 ،وينظر الدكتور عطوان، حسين :مقدمة القصيدة العربية ،ص142.

(7) الغنوي، ديوان شعر طفيل ،ص40 ،وينظر الدكتور عطوان، حسين :مقدمة القصيدة العربية ،ص143.

وهذا (بشر بن أبي خازم) ،حيث يصف الإبل وهي باركة،أو واقفة أو سائرة ،وذلك عند استعداد القوم للرحيل وينتقل إلى وصف الهوادج ،وصفاً دقيقاً،وحين يفرغ من تصوير الهوادج يصف النساء بزينتهن وحليهن و عطورهن وثيابهن ومفاتنهن فيقول:

ألا ظعن الخليط غداة ربعوا	بشبوة فالمطي بنا خضوع
أجد البين فاحتملوا سراعا	فما بالدار إذ ظعنوا كتيع
كأن حدوجهم لما استقلوا	نخيل محلم فيها ينوع(1)

وهذا (الممزق العبدي) حيث يلقانا ذلك نفسه،حيث افتتحها بالتردد بين العزوف عن التصابي والعكوف ساعة الرحيل واستبد به الشوق .. حيث ابتدأت القافلة سيرها مع اشراقة الصباح فيقول:

صحا عن تصابيه الفؤاد المشوّق وحان من الحي الجميع تفرّق
وأصبح لا يشفي غليل فؤاده قطار السحاب والرّحيق المُروّق(2)

وعلى هذه الشاكلة مقدمة قصيدة (عبيد بن الأبرص) الطائية فإنه استهلها بالحديث عن رحلة محبوباته في هوادجهن ،بأجيادهن الطويلة تزينها القروط واخذ يتحسر على أيام لهوه معهنّ يرجّع آهاته وأناته ترجيعاً حيث يقول:

بان الخليط الألى شاقوك إذ شحطوا وفي الحدوج مها أعناقها عيط
....
يكلف العول منها كل ناجية بعد الهجير بإرقال ويلتبط(3)

ويختمها ببيت يمس القلب،بل يملؤه روعة بصورة حسيّة،صورة فيها حزنه ساعة الفراق ،وحين اخذت تغيب أشباحهم عنه في جوف الصحراء وتغيبه دموعه وقد أشتد به الفزع،واشتد به الوجد المحض:

فظللت أتبعهم عيناً انسانها غَرِقٌ في مائها معطُ(4) على طرب

ونجد الشاعر (عبيد بن الأبرص) يخلص من ذكرياته إلى وصف (الظعن) وهي تسير في شعاب الصحراء وسهولها والحداة يهرون الإبل ... ويؤلمه ذلك لأنه آذن ببعد محبوبته منه، وانفصالها عنه وهذا ما يقوله:

ألا تقفان اليوم قبل تفرُّق ونأي بعيد واختلاف وأشغال
إلى ظعن يسلكن بين تبالة وبين أعالي الخلّ لاحقة التالي
فلما رأيت الحاديين تكمشا ندمت على أن يذهبا ناعمي بال(5)

(1) ديوانه،ص129.
(2) عطوان، د.حسين :مقدمة القصيدة الطللية،ص82.وينظر المفضليات،ص130.
(3)ديوانه،ص83 .
(4)نفسه والصفحة.
(5)نفسه،ص112و113.

الخاتمة:

بواسطة التقصي والمتابعة الجادة لدراسة موضوع البحث توصلتُ إلى النتائج الآتية:

يظهر لنا مع طول العصر الجاهلي إن هذه المقدمات الطللية هي في الواقع مقدمات تنبض بالحياة والواقع المعيش الذي يكتنف نفسية الشاعر الجاهلي،وقد تعددت تلك المقدمات وتنوعت وأخذت بعض منها مساحة واسعة في الشعر العربي القديم،الأمر الذي استهوى الشعراء الكبار تلك المقدمات وموضوعاتها، بحيث لامست الحياة ملامسة حقيقية ،كما لاحظنا من خلال حيثيات الدراسة والموضوعات التي طرحها هؤلاء الشعراء في مقدماتهم والتي كانت تحمل عناوين متعددة ومتشعبة أسهمت في ترسيخ تلك الظاهرة الشعرية،وأعطت دليلاً قاطعاً على قدرة الشاعر الجاهلي على التقاط موضوع طلليته فصاغ عنوانها وعباراتها وصورها وأبدع في ذلك وحفزَّ الجمهور المتلقي للانجذاب إليها.

قائمة المصادر والمراجع:

1) الأبرص، ديوان عبيد ،تحقيق:الدكتور حسين نصار،مطبعة البابي الحلبي،القاهرة،1957م. والنسخة المحققة من قبل:كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،1958م.
2) الأسدي ، بشر بن أبي خازم ، ديوانه ،تحقيق :الدكتور صلاح الدين الهواري،مراجعة:الدكتور ياسين الأيوبي،مطبعة الهلال،بيروت،1997م.
3) اسماعيل، د.عناد غزوان:مقدمة القصيدة الغزلية في الشعر الجاهلي،مجموعة من محاضرات ألقيت على طلبة المرحلة الأولى ــ قسم اللغة العربية،الجامعة المستنصرية ،عام(1971/1970).
4) الأصبهاني،أبو فرج ا:الأغاني، ج 5،شرح الأستاذ:سمير جابر،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت،1968م.
5) ابن قتيبة:الشعر والشعراء، ج1، ج2،تحقيق:أحمد محمد شاكر و عبدالسلام محمد هارون،مطبعة دار المعارف،ط2،القاهرة،1956م.
6) أبي سلمى ، زهير، ديوانه ،شرح ثعلب،ابو العباس احمد بن يحيى بن زيد الشيباني،مطبعة دار الكتب المصرية،القاهرة،1947م،والنسخة المحققة من قبل:كرم البستاني،دار صادر بيروت،1960م.
7) البغدادي،عبدالقادر بن محمد:خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب،المطبعة السلفية،القاهرة،1347الهجري.

8) التميمي ،علقمة بن عبده، ديوانه ،تحقيق:لطفي الصقال ودورية الخطيب،طبع مجمع اللغة العربية،دمشق،1975م.

9) الثعالبي:خاص الخاص،مطبعة السعادة،ط1،القاهرة،(د.ت).

10) الجمحي، ابن سلاّم:طبقات فحول الشعراء، ج1، ج2،تحقيق وشرح:محمود محمد شاكر،مطبعة المدني،مصر،1980م.

11) الجندل، سلامة، ديوانه، رواية الأصمعي وأبي عمرو الشيباني،تحقيق:فخرالدين قباوه،المكتبة العربية،ط1،حلب،سوريا،1968م.

12) حجر، ديوان أوس ،تحقيق وشرح د.محمد يوسف نجم ،دار صادر،طبعة2،بيروت،1979م.

13) خليف، د.يوسف:مقدمة القصيدة الجاهلية محاولة جديدة لتفسيرها،مجلة المجلة ،العدد (98)،فبراير،1965م.

14) الذبياني ،ديوان النابغة ،صنعة ابن السكيت،تحقيق:الدكتور كرم البستاني ،مطبعةدار صادر،ط1، بيروت،1963م.

15) ربيعة،المهلهل:ديوانه، تحقيق:نافع منجل شاهين، ضمن دراسة (المهلهل بن ربيعة التغلبي ــ حياته وشعره)، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الآداب،جامعة بغداد،1989م.

16) الزوزني:شرح القصائد السبع،ضبطه محمد علي حمد الله،المطبعة التعاونية،دمشق،1963م.

17) السقا، د.مصطفى :مختار الشعر الجاهلي،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،ط2، القاهرة،1948م.

18) السندوبي، حسن:أخبار المراقة وأشعارهم في الجاهلية والإسلام،مطبعة الإستقامة،القاهرة،1939م.

19) الضبي، المفضل:المفضليات،تحقيق:أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون، مطبعة دار المعارف، القاهرة،1956م.

20) العبد،طرفة:ديوانه، تقديم وشرح وتعليق:د.محمد محمود،دار الفكر اللبناني،ط1، بيروت، 1995م.

21) العسكري، أبو هلال:الصناعتين،تحقيق:علي البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،القاهرة،1971م.

22) عطوان،د.حسين مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي، مطبعة دار الجيل،بيروت،1987م .

23) الغنوي، ديوان طفيل بن عوف ، رواية ابي حاتم السجستاني،مطبعة الكرنكو،لندن،1927م.

24) القالي، أبو علي:ذيل الأمالى والنوادر،دار الفكر،لبنان،(د.ت).

25) القيرواني، ابن رشيق:العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده، ج1، ج2،تحقيق:محمد محي الدين عبدالحميد،مطبعة لجنة التأليف والترجمة،ط2،القاهرة،1955م.

26) القيس ، أمرؤ ،(ديوانه) ، تحقيق:أبو الفضل ابراهيم،دار المعارف،ط4، 1984م،والطبعة الثانية،1964م.

27) الكبير(ميمون بن قيس)،ديوان الأعشى، شرح وتعليق:محمد محمد حسين،مؤسسة الرسالة،ط7،بيروت،1983م.

28) النويهي، د.محمد :الشعر الجاهلي(منهج في دراسته وتقويمه)،مطبعة دار القومية للطباعة والنشر،القاهرة،1961م.

29) النويهي، د.محمد:مقدمة الأطلال في القصيدة الجاهلية ــ دراسة موضوعية فنية ، مجلة المجلة،العدد100 ،1965م.